Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما تهيب فصلى به ، ورفع رأسه وبكى الجامع بكاء شديدًا »[٥] .

ما حدث فى طليطلة نجد صداه واضحًا فى قصيدة وحيدة طويلة تبلغ اثنين وسبعين بيتًا ، حفظها لنا المقرى كاملة ولم ينسبها إلى قائل[٦] . ويبدؤها الشاعر متسائلاً فى عجب : هل فى الأندلس من يقر هادئًا وقد ضاعت طليطلة ، فُهد بضياعها ركن الدين الحصين ، وتوالت بعدها النكبات والمصائب ، وأحس المؤمنون بالفزع حين علموا أن الغلبة كانت فى جانب ألفونسو السادس :

لثُكْلكِ كيف تبتسم الثغورْ سرورا بعد ماسُبيتْ ثغورُ
أما وأبى مصاب هدَّ منه ثبيرْ الدين ، فاتصل الثبورُ
لقد قُصمتْ ظهور حين قالوا أميرْ الكافرين له ظهور

ويمضى فى تساؤله : أليس بالمدينة شهم يقاوم الاحتلال ويحررها من العبودية ؟ لقد خضع الذين تعودوا النصرة ، واستكان من كان فى طبعهم النفور ، وهان القوم على أنفسهم ، وتسامحوا فى حرماتهم :

أليس بها أبى النفس شهمٌ يديرُ على الدوائر إذ تدورُ
لقد خضعت رقابٌ كنَّ غُلبا وزال عتوُّها ومضى النفور
وهان على عزيز القوم ذل وسامح فى الحريم فتى غيورُ

ويخلص من هذه المقدمة العامة ليعرض ماجرى فى طليطلة نفسها ، لقد انتصر الكاثوليك واستولوا على المدينة ، ذات الحصون العالية ، تفوق ضخامة ومنعة إيوان كسرى والخورنق والسدير . كانت معقل الإسلام ومنار علمه ، فخبا ضؤوها وعادت دار كفر ، وأخرج سكانها المسلمون ، وحولت مساجدها إلى كنائس ، وعبثوا بحرائرها :

طليطلةٌ أباح الكفر منها حماها ، إن ذا نبأ كبيرُ
فليس مثالها إيوانُ كسرى ولا منهـا الخورْنَقُ والسدير
محصنَّةٌ محسنَّةٌ بعيدٌ تناوُلها ، ومطلبُها عسير

---

(٥) المقرى ، نفح الطيب ، ٤ /٤٤٧ طبعة احسان عباس .
(٦) المرجع السابق ، ٤ /٤٨٣ وما بعدها .